الجهاد في سبيل الله

مقاصد وآثار

د. وصفي عاشور أبو زيد

الألوكة
www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجهاد في سبيل الله.. مقاصد وآثار

وصفي عاشور أبو زيد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقدمة

إن الحمد لله، أحمده وأستعين به وأستهديه وأسترضيه، وأعوذ بالله من شر نفسي وسوء عملي، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن مُحَمَّدا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه وخليله، اللهم صل وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأحبابه وأتباعه، الذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون، وبعد،،

فإن للجهاد عند المسلمين مكانة كبيرة ومنزلة جليلة ومقاصد سامية؛ فهو ذروة سنام الإسلام، وحديث النفس به علامة الإيمان، وهو الفريضة الغائبة في واقعنا المعاصر التي ارتبطت بها عزة المسلمين في كل العصور.

ولقد امتازت فلسفته في الإسلام عن الديانات والمذاهب والأفكار الأخرى سواء كانت سماوية أو أرضية، فقد ربطه القرآن الكريم والسنة النبوية بأنه "في سبيل الله"، ومعنى ذلك أنه ليس لإشباع رغبات بشرية دنيئة، أو للتشفي وتفريغ مشاعر إنسانية ذميمة، أو تحقيق مصالح شخصية فاجرة، وإنما هو لبلوغ مقاصد شرعية نبيلة، وتحقيق أهداف إنسانية عظيمة، حددها الشارع الحكيم، ونصبها أمام القائمين به؛ وذلك لكي يكون "في سبيل الله" لا في سبيل غيره، ولتكون كلمة الله هي العليا، وتسعد البشرية في ظلال الإسلام العظيم.

وحين نتحدث عن مقاصد الجهاد هنا لا نعني به الجهاد بمفهومه الشامل الذي يشمل جهاد النفس وجهاد المنافقين وجهاد الشيطان، والأنواع الأخرى من الجهاد التي ذكر العلماء منها أكثر من ثلاثة عشر نوعا، وإنما نعني به معناه المباشر وهو القتال.

وقد عرف العز بن عبد السلام مقاصد الجهاد بأنها: "ما شرع الجهاد لأجله، والجهاد وسيلة إليه"([1]).

وعند التأمل في أحكام الجهاد وتدابيره الشرعية التي شرعها الإسلام بنصوصه الشرعية الشريفة، وبالتطبيق العملي لهذه النصوص وجدنا أن الله شرعه لمقاصد وأوجده ليتحقق بتطبيقه آثار، يمكن عند التأمل فيها أن نقسمها إلى قسمين: مقاصد وآثار لازمة أو فردية، ومقاصد وآثار متعدية أو جماعية.

وهذا هو موضوع هذه الورقات؛ الحديث عن مقاصد الجهاد وآثاره، وقد قسمناها إلى مقاصد وأثار فردية، ومقاصد وآثار جماعية.

فكانت المقاصد والآثار اللازمة أو الفردية ما يلي:

([1]) **قواعد الأحكام في مصالح الأنام: ١٠٦/١. تحقيق: محمود بن التلاميد الشنقيطي. دار المعارف بيروت – لبنان.**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١. الفوز بمرتبة الشهادة ونيل الدرجات في الجنة:

٢. إصلاح النفس:

٣. ابتلاء المؤمن وتمحيصه:

٤. السعي لمرضاة الله:

أما المقاصد والآثار المتعدية أو الجماعية فكانت كما يلي:

١. صد العدوان:

٢. تحرير الناس وإقامة العدل والمساواة:

٣. منع الفتنة وحفظ حرية الاعتقاد:

٤. تحقيق التمايز في صفوف الأمة:

٥. حفظ هيبة الدولة الإسلامية:

وإن من شأن التفقه بمقاصد الجهاد، وبيان فلسفته أن يخفف من غلواء الغلو في الجهاد فكرا وممارسة، ويجنب البلاد والعباد حوادث العنف وأخبار التفجير والتكفير هنا وهناك.

والله تعالى أسأل أن يهيئ لأمتنا أمر رشد، يعز فيه أهل الطاعة، ويذل فيه أهل المعصية، وتفيق الأمة من نومتها، وتتنبه من غفلتها، وتتعافى من عللها، لتستعيد مكان القيادة والريادة كما كانت من قبل؛ لتكون أمة شاهدة لا راكدة، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وصفي عاشور أبو زيد

الكويت ١٤٣٠/٦/١٩هـ

٢٠٠٩/٦/١٣م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أولا: المقاصد والآثار اللازمة أو الفردية:

ونعني بالمقاصد والآثار الفردية أو اللازمة التي تتحقق للفرد وتعود على ذاته ولا تروم غيره، ولكن قد تسهم في تحقيق المقاصد الجماعية والآثار المتعدية، باعتبار المجتمع مجموعة أفراد، ومن مقاصد وآثار الجهاد الفردية ما يلي:

١. الفوز بمرتبة الشهادة ونيل الدرجات في الجنة:

من المقاصد اللازمة للقتال في سبيل الله أن ينال المجاهد مرتبة الشهادة ويتبوأ الدرجات العليا من الجنة، وقد جاء في القرآن آيات كثيرة تنوه بمكانة المجاهدين والمقاتلين في سبيله وتوضح ما رتب لهم من أجر ومثوبة، قال تعالى: "وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ . آل عمران: ١٥٧.

وقال: "وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ". سورة آل عمران: ١٦٩-١٧١.

وقال سبحانه: "وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ. سورة الحج: ٥٨-٥٩.

وقال: "وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ . سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ . وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ". سورة محمد: ٤-٦.

وقال: "إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ". آل عمران: ١٤٠.

ويكفي من السنة النبوية ما رواه البخاري بسنده عن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (ما أحد يدخل الجنة، يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة"([٢]).

قال ابن حجر: "إنما أورد حديث أنس هذا ليبين المعنى الذي من أجله يتمنى الشهيد أن يرجع إلى الدنيا ليقتل مرة أخرى في سبيل الله؛ لكونه يرى من الكرامة بالشهادة فوق ما في نفسه؛ إذ كل واحدة يعطاها من الحور العين لو أطلت على الدنيا لأضاءت كلها"([٣]).

([٢])صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير . باب: تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا.

([٣])فتح الباري: ٦/١٥. طبعة دار المعرفة. بيروت.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وروى النسائي بسنده عن شداد بن الهاد أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه ثم قال أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي ﷺ سبيا فقسم وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال ما هذا قالوا قسم قسمه لك النبي ﷺ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ، فقال ما هذا؟ قال: "قسمته لك" قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال: "إن تصدق الله يصدقك" فلبثوا قليلا ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي ﷺ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: "أهو هو؟" قالوا نعم قال: "صدق الله فصدقه". ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ ثم قدمه فصلى عليه فكان فيما ظهر من صلاته: "اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا أنا شهيد على ذلك"(٤).

وروى مسلم بسنده عن سهل بن حنيف حدثه عن أبيه؛ عن جده؛ أن النبي ﷺ قال (من سأل الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه"(٥). فدل هذا الحديث والذي قبله أن الشهادة مطلب يُطلب وحده ولذاته، ويقصده القاصدون.

وكان الصديق ـ رضي الله عنه ـ يحرّض المجاهدين على القتال ويقوي نفوسهم بما يشعرهم من الظفر ويذكر لهم أسباب النصر ليقل العدو في أعينهم فيكونوا عليه أجرأ وبالجرأة يسهل الظفر، فقد حرض وحض أبو بكر خالد بن الوليد على القتال بقوله: "احرص على الموت توهب لك الحياة"(٦).

وحسبنا للتدليل على درجة الشهيد العالية ومكانته من الله ومن الناس يوم القيامة ما جاء في اختلافهم حول سبب تسمية الشهيد شهيدا: فقال النضر بن شميل: "لأنه حي فكأن أرواحهم شاهدة أي حاضرة، وقال ابن الأنباري: لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة، وقيل: لأنه يشهد عند خروج روحه ما أعد له من الكرامة، وقيل لأنه يشهد له بالأمان من النار، وقيل لأن عليه شاهدا بكونه شهيدا، وقيل لأنه لا يشهده عند موته إلا ملائكة الرحمة، وقيل لأنه الذي يشهد يوم القيامة بإبلاغ الرسل، وقيل لأن الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة، وقيل لأن الأنبياء تشهد له بحسن الاتباع، وقيل لأن الله يشهد له بحسن نيته وإخلاصه، وقيل لأنه يشاهد الملائكة عند احتضاره، وقيل لأنه يشاهد الملكوت من دار الدنيا ودار الآخرة، وقيل لأنه مشهود له بالأمان من النار، وقيل لأن عليه علامة شاهدة بأنه قد

---

(٤) سنن النسائي: كتاب الجنائز. باب الصلاة على الشهداء.

(٥)صحيح مسلم: كتاب الإمارة. باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى

(٦) أبو بكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره: ١٠١/٥. د. علي الصلابي. ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نجا"([٧]). ولا مانع من الجمع بين هذا كله، لعدم وجود تعارض بين اجتماعها، فلا يُستبعد أن يجمع الشهيدُ بين هذه المكارم جميعا.

٢. إصلاح النفس:

وهو من آثار الجهاد، وذلك أن النفس دائما تركن إلى الشهوات، وتثَّاقل إلى الأرض كلما دعاها داعي الجهاد، فالنفس سرعان ما تستجيب لشهواتها، وتؤثر السلامة بعيدا عما يُتعب النفس و يرهقها، ويبعدها عن الوطن والأهل والمال والضيعات، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ". التوبة: ٣٨.

ويأتي الجهاد في سبيل الله ليهذب النفس ويعوِّدها المجاهدة وعدم الاستسلام، ويعزز عندها مقاومة الرغبات والشهوات، والركون إلى الملذات والأهل والضيعات، ويجرده من هذا كله عبدا خالصا لله وحده، مقبلا غير مدبر، غير راغبٍ في فضلٍ من أحدٍ إلا الله، ولا راهبٍ أحدًا سواه.

ومن أجل هذا كله ولترغيب النفس في هذه العبادة الكبيرة يرفع الشرع الحنيف غايات الجهاد وآثاره أمام المجاهدين، ويبرز الأجر والثواب الذي يحوزه المجاهد متى كان جهاده في سبيل الله.

٣. ابتلاء المؤمن وتمحيصه:

ومن آثار الجهاد التي تعود على الفرد أن هذه الفريضة من أجلِّ أنواع الابتلاء للمؤمن، فالإنسان بطبيعته يحب الراحة والدعة والإخلاد إلى الأرض؛ لأنه مخلوق ـ في بعض تكوينه ـ من هذا الحمأ المسنون، فحين يأمره الشرع بالقتال ـ وهو كره له ـ يكون هذا من أبرز أنواع الابتلاء والاختبار.

قال تعالى: "فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ". الأنفال: ١٧.

وقال تعالى: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ". مُحَمَّد: ٣١.

وقال تعالى: " أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ". آل عمران: ١٤٢.

وعن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: "أن رجلا قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة"([٨]).

([٧])فتح الباري: ٦/٤٢-٤٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال السندي في الشرح: "ويفتنون: أي يمتحنون بسؤال الملكين في القبور. (كفى ببارقة السيوف) أي بالسيوف البارقة من البروق بمعنى اللمعان، والإضافة من إضافة الصفة إلى الموصوف أي ثباتهم عند السيوف وبذلهم أرواحهم لله تعالى دليل إيمانهم فلا حاجة إلى السؤال والله تعالى أعلم"([٩]).

وإذا كان القتال ابتلاءً للمؤمن وفتنةً له فإنه أيضا تمحيصٌ لنفسه، وتجريد لإيمانه، واختبار لمدى إقباله وطاعته لله.

قال تعالى: "إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ(١٤١)أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢). آل عمران.

وقال تعالى: "أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ". التوبة: ١٦.

فلا يخفى أن وضع المسلم وتقليبه بين هذه الأحوال المختلفة؛ عسرا ويسرا، ضيقا وسعة، كربا وفرجا، حربا وأمنا .كل هذا ليبتلي الله ما في صدره، ويمحص ما في قلبه، مصداقا لقول الله تعالى: " ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ". سورة آل عمران: ١٥٤.

٤. السعي لمرضاة الله:

ومن المقاصد الفردية ابتغاء مرضاة الله تعالى والسعي نحوها، قال سبحانه: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ". البقرة: ٢٠٧.

وقد ذكر الإمام الطبري اختلاف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية فيه ومن عنى بها. فقال بعضهم: نزلت في المهاجرين والأنصار، وعنى بها المجاهدون في سبيل الله...وقال بعضهم: نزلت في رجال

([٨])سنن النسائي:. كتاب الجنائز. باب الشهيد.

(٩) حاشية السندي على النسائي: ٤/٩٩. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. كتب المطبوعات الإسلامية. حلب. الطبعة الثانية. ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من المهاجرين بأعيانهم...وقال آخرون: بل عنى بذلك كل شار نفسه في طاعة الله وجهادٍ في سبيله، أو أمرٍ بمعروف.

ثم قال الطبري: "فالصواب من القول في ذلك أن يقال: إنّ الله عز وجل وصف شاريًا نفسَه ابتغاء مرضاته، فكل من باعَ نفسه في طاعته حتى قُتل فيها، أو استقتل وإن لم يُقتل، فمعنيٌّ بقوله: "ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله"- في جهاد عدو المسلمين: كان ذلك منه، أو في أمرٍ بمعروف أو نهي عن منكر"([1]).

والصياغة اللغوية في الآية تدل على أن "ابتغاء مرضاة الله" مقصد للمجاهدين في سبيله، فهي منصوبة على المفعول لأجله، أي أنهم يبيعون أو يشترون .كما تدل الكلمة، وكما وافقتها روايات أسباب النزول . أنفسهم من أجل مرضاة الله تعالى.

([1])جامع البيان في تأويل القرآن: ٤/٢٤٧-٢٥١. تحقيق أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى. ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانيا: المقاصد والآثار المتعدية أو الجماعية:

إذا كان ما سبق يعبر عن المقاصد الفردية أو اللازمة للقتال في سبيل الله، فإن له مقاصد جماعية واجتماعية تعود على الجماعة ولا تهمل الفرد في الوقت نفسه باعتبار الفرد نواة المجتمع والجماعة.

ولعل المتأمل في المقاصد المتعدية للجهاد يتبين له بجلاء .كما سيأتي . أنها هي الأهم والأنفع والأكثر تحريا وترسما لفرض القتال وتدابيره الشرعية، وليس معنى هذا أن المقاصد الفردية أو اللازمة غير مهمة، بل هي من الأهمية بمكان كما سبق البيان، ولكن الحديث هنا عن الأهم والأبرز.

وإذا كان الفقهاء والأصوليون اهتموا بالمقاصد الفردية عند حديثهم عن المقاصد الشرعية بشكل عام غير مبينين للمقاصد الاجتماعية باعتبار أن تحقيق مقاصد الفرد تفضي في النهاية لتحقيق مقاصد الجماعة، فإن الأمر هنا مختلف في الحديث عن مقاصد الجهاد.

فقد ركز العلماء على الحديث عن المقاصد الجماعية والمتعدية للجهاد، ونوعوا الكلام فيها والحديث حولها بما لم نشهده في حديثهم عن المقاصد الضرورية أو كليات المقاصد بشكل عام.

ونعني بالمقاصد والآثار الجماعية أو المتعدية تلك التي يتجاوز نفعها الفرد إلى المجتمع والأمة، والبشرية كلها باعتبار الإسلام دينا للإنسانية جميعا، وفيما يلي إشارات إلى أهم المقاصد المتعدية أو الجماعية للقتال في سبيل الله:

١. صد العدوان:

من المقاصد الجماعية أو المتعدية للقتال في سبيل الله أن يصد المسلمون العدوان عنهم، وهذا مقصد يتوافق عليه كل البشر، فصد العدوان وحماية النفس والدفاع عن الوطن مقصد شريف تواضعت عليه البشرية بقوانينها وشرائعها وأعرافها وقيمها ومثلها، بل لم نعرف مستنكرا لهذا على مر التاريخ!.

ولقد زاد الإسلام في هذا بأن أوجب رد العدوان ولو في الأماكن المقدسة والأزمنة المحرمة التي حرم الإسلام فيها القتال، قال تعالى: "وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ {١٩١} فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {١٩٢} وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ {١٩٣} الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ". سورة البقرة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ ". سورة البقرة: ٢١٧.

فمع أن الإسلام حرم القتال في الأماكن المقدسة، وفي الأزمنة المقدسة فإنه لم يمنع المسلمين من صد العدوان ورد المعتدي في هذه الأماكن وتلك الأزمنة؛ وذلك نزولا على القيم الإنسانية التي تشترك فيها البشرية كلها، وهي الدفاع عن النفس، وصد العدوان، وحماية الأوطان.

ومما يدلك على أن دفع العدوان وصد الظلم من مقاصد الجهاد قوله تعالى: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ". الحج: ٣٩-٤٠. وقله تعالى مخاطبا نبيه ﷺ: "فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ". النساء: ٨٤.

ويقول الشيخ محمد الغزالي: "والقتال الذي شرعه الإسلام وخاض معاركه الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته هو أشرف أنواع الجهاد .... والحروب التي اشتبك فيها الإسلام -على عهد الرسول (صلَّى الله عليه وسلم) وخلفائه- كانت فريضة لحماية الحق، ورد المظالم، وقمع العدوان، وكسر الجبابرة، أما تخرّص المستشرقين والحقدة على الإسلام من أهل الأديان الأخرى والادعاء بأن المسلمين جنحوا إلى القوة حيث لا مبرر لها، فذلك كله لغو طائش، وهو جزء من الحملة المدبرة لمحو الإسلام من الأرض واستبقاء أهله عبيداً للصليبية والصهيونية وما إليهما"([١١]).

إذن فالقتال في الإسلام ليس من أجل مجرد القتال، ولا تعطشا للدماء، ولا انتقاما من الناس، وإنما هو لأهداف أسمى، وغايات أنقى؛ لكي تنعم البشرية بحياة أرقى، ليس فيها ظلم ولا عدوان ولا فزع، إنما الأمن والحرية والعدالة والمساواة.

٢. تحرير الناس وإقامة العدل والمساواة:

فمن أهم المقاصد الجماعية والمتعدية للقتال في سبيل الله تخليص المستضعفين وحمايتهم من ظلم وجبروت المتجبرين والمتألهين في الأرض، الذين يمنعون نور الله أن يصل للناس، ويقفون حائلا بينهم وبين التفكير أو اعتناق ما يريدون قهرا يمارسونه على الناس، وظلما واستبدادا يفرضونه عليهم.

([١١])فقه السيرة: ١٨٣-١٨٤. دار نهضة مصر. الطبعة الأولى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال تعالى: "فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا. وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا". النساء: ٧٤-٧٥.

فتخليص المستضعفين من الرجال والنساء والولدان وحمايتهم وتحريرهم من هذا الاستعباد والاستضعاف، وتركهم أحرارا فيما يختارون ويعتنقون من أهم مقاصد القتال في سبيل الله كما ذكرت الآية الكريمة السابقة.

وعن فلسفة القتال في الإسلام يتحدث الأستاذ سيد قطب قائلا: "إنه لضمان حرية الاعتقاد كان هذا الجهاد؛ لأن الإسلام كإعلان عام لتحرير « الإنسان » في « الأرض » من العبودية للعباد؛ يواجه دائماً طواغيت في الأرض يُخْضعون العباد للعباد . ويواجه دائماً أنظمة تقوم على أساس دينونة العبيد للعبيد؛ تحرس هذه الأنظمة قوة الدولة أو قوة تنظيمية في صورة من الصور؛ وتحول دون الناس في داخلها ودون سماع الدعوة الإسلامية؛ كما تحول دونهم ودون اعتناق العقيدة إذا ارتضتها نفوسهم، أو تفتنهم عنها بشتى الوسائل . . وفي هذا يتمثل انتهاك حرية الاعتقاد بأقبح أشكاله.. ومن هنا ينطلق الإسلام بالسيف ليحطم هذه الأنظمة ، ويدمر هذه القوى التي تحميها . . ثم ماذا؟ . . ثم يترك الناس - بعد ذلك - أحراراً حقاً في اختيار العقيدة التي يريدونها"([١٢]).

وإذا كان الإسلام يهدف من تشريع القتال إلى رفع الظلم عن الناس وتخليص المستضعفين من القهر والظلم والاستبداد، ويمنع من وقوع الفتن في الدين والمجتمع، فإن هذا يعتبر مهادا للإسلام لكي ينشر هداياته وقيمه الإنسانية التي ينعم بها البشر جميعا مثل العدالة والمساواة، وهذا في الحقيقة انحياز كامل لقيم الحق والخير والجمال، وكل ما له علاقة بقيم الإنسانية التي تواضعت عليها البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإذا كان غير المسلمين يقاتلون لأجل العلو في الأرض والفساد فيها، فإن المسلمين .كما يقول الشيخ السعدي . يفقهون المقصود من القتال، أنه لإعلاء كلمة الله وإظهار دينه، والذب عن كتاب الله"([١٣]).

([١٢])في ظلال القرآن: ١٧٣٨/١٣.

([١٣]) تفسير السعدي: ٣٢٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولقد وضح الله تعالى أن من عواقب النصر وثمرات الفوز نشر قيم الحق ومبادئ العدالة، فقال تعالى: " الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ". الحج: ٤١.

يقول الدكتور مصطفى السباعي: في هذه الآية "تصريح بالنتائج التي تترتب على انتصار المؤمنين في هذا القتال المشروع، فهي ليست استعمار الشعوب، ولا أكل خيراتها، ولا انتهاب ثرواتها، ولا إذلال كراماتها، وإنما هي نتائج في مصلحة الإنسانية، ولفوائد المجتمعات، فهي:

أ- لنشر السمو الروحي في العالم عن طريق العبادة {أَقَامُوا الصَّلَاةَ}.

ب- ولنشر العدالة الاجتماعية بين الشعوب عن طريق الزكاة {وَآتَوُا الزَّكَاةَ}.

ج- ولتحقيق التعاون على خير المجتمع وكرامته ورقيه {وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ }.

د- وللتعاون على مكافحة الشر والجريمة والفساد {وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ}.

تلك هي النتائج التي تترتب على انتصار المؤمنين في قتالهم مع أعدائهم، من إقامة دولة إسلامية تعمل على سمو الروح، وتكافل المجتمع، ورقي الإنسان عن طريق الخير، ومنع انحداره عن طريق الشر، فأية غاية إنسانية أنبل من هذه الغاية التي شرع من أجلها القتال في الإسلام، وأي قتال عرفته الأمم في القديم والحديث يساوي هذه الغاية في عموم الفائدة للناس جميعا وبناء المجتمعات على ما يؤدي إلى رقيها وتطورها تطورا إنسانيا بناء، لا رجوع فيه إلى عهد الجاهلية الأولى، من الإباحية، والانحلال، والإلحاد والحروب، وسفك الدماء، كما هو شأن التطور الذي يتم في ظل هذه الحضارة الغربية المادية"([١٤]).

فالإسلام ليس دينا لعصر دون عصر، ولا لقوم دون قوم، ولا لجيل دون جيل، ولا لأرض دون أرض، بل هو دين كل العصور وكل الأجيال وكل الأقوام، إنه دين الإنسانية أجمعين.

وحين نقول إن من مقاصد القتال في سبيل الله نشر هدايات الإسلام، فإنما هذه إشارة إلى القيم الإنسانية التي يتمتع بها هذا الدين، والتي ينشدها كل البشر، من رحمة وعدالة ومساواة، وباختصار هو نشر لكل الطيبات، ومنع لكل الخبائث، وهذا كله من مقاصد إرسال النبي مُحَمَّد ﷺ. برسالة الإسلام، قال تعالى: "يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ". الأعراف: ١٥٧.

([١٤])السيرة النبوية دروس وعبر: ١١٦-١١٧. المكتب الإسلامي. بيروت. بدون تاريخ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولقد تمثل هذا في تاريخ الحروب الإسلامية، وقد قال "غوستاف لوبون" كلمته التي طبقت الآفاق: "فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا دينا سمحا مثل دينهم"([١٥])، فلم يكره أحدا على اعتناق شيء، ولا أسال دماء بغير حق، بل كان حريصا عليها كل الحرص، وقد تمثلت الرحمة وقيم الإنسانية في الحرب كما تمثلت في السلم سواء بسواء.

وهذه القيم ـ قيم العدل والتسامح والمساواة ـ هي التي أدى انتشارها إلى انتشار الإسلام واعتناق الناس له طوعا دون أدنى إكراه.

٣. منع الفتنة وحفظ حرية الاعتقاد:

ومن المقاصد المتعدية للقتال في سبيل الله منع وقوع الفتنة في مجتمع المسلمين بل في المجتمع الإنساني عامة؛ إذ بالقتال في سبيل الله يُستخلص المستضعفون من الفزع والقهر، ومن ثم لا تقع لهم فتنة في دينهم، أو إكراه في اختيار ما يدينون، قال تعالى: "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ". البقرة:١٩٣. وقال تعالى: "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ". الأنفال:٣٩.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره لآية سورة البقرة السابقة: "ذكر تعالى المقصود من القتال في سبيله، وأنه ليس المقصود به، سفك دماء الكفار، وأخذ أموالهم، ولكن المقصود به أن { يَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } تعالى، فيظهر دين الله [تعالى]، على سائر الأديان، ويدفع كل ما يعارضه، من الشرك وغيره، وهو المراد بالفتنة، فإذا حصل هذا المقصود، فلا قتل ولا قتال"([١٦]).

وقال في تفسيره لآية سورة الأنفال بعدها: " فهذا المقصود من القتال والجهاد لأعداء الدين، أن يدفع شرهم عن الدين، وأن يذب عن دين الله الذي خلق الخلق له، حتى يكون هو العالي على سائر الأديان"[١٧].

ولقد قرر القرآن أن الفتنة في الدين أكبر من القتل وأشد من القتل، ولهذا شرع القتال لدرء هذه الفتنة ومنعها، قال تعالى: "وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ". البقرة: ٢١٧.

---

(١٥) حضارة العرب: ٧١٩. ترجمة عادل زعيتر. دار إحياء التراث العربي. بيروت. طبعة ثالثة. ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(١٦)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٨٩. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى. ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

(١٧) السابق: ٣٢١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولعل الفتنة هنا لا تقتصر على الفتنة في الدين فقط، بل تتنوع الفتنة إلى أنواع كثيرة، مثل الفتن السياسية والاجتماعية والفكرية وغيرها من الفتن، وهي فتن كلها مجتمعية ومتعدية جاء القتال لمنعها ووأدها؛ حفاظا على سلامة المجتمع، واستبقاء لبيضة الدين؛ إذ إن وجود الدين والالتزام به يتأثر طرديا بحالة المجتمع من كل النواحي.

ومن مقاصد الجهاد حفظ حركة التعبد، واستدامة ممارسة الشعائر، وحفظ حرية الاعتقاد، والحفاظ على أماكن التعبد، ولقد قدم الإسلام حفظ أماكن التعبد للديانات الأخرى على مساجد المسلمين فقال القرآن: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ". سورة الحج: ٣٩-٤٠.

يقول الإمام الطبري: "إن الله . تعالى ذكره . أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض، لهُدِم ما ذُكر، من دفعه . تعالى ذكره . بعضهم ببعض، وكفِّه المشركين بالمسلمين عن ذلك، ومنه كفه ببعضهم التظالم، كالسلطان الذي كفّ به رعيته عن التظالم بينهم، ومنه كفُّه لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحق من له قبله حق، ونحو ذلك، وكلّ ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض، لولا ذلك لتظالموا، فهدم القاهرون صوامع المقهورين، وبيَعهم، وما سمّى جل ثناؤه"([١٨]).

ويقول صاحب الظلال في تفسير هذه الآيات: "وأن لهم . أي للمسلمين . ما يبرر خوضهم للمعركة؛ فهم منتدبون لمهمة إنسانية كبيرة ، لا يعود خيرها عليهم وحدهم ، إنما يعود على الجبهة المؤمنة كلها؛ وفيها ضمان لحرية العقيدة وحرية العبادة. وذلك فوق أنهم مظلومون أخرجوا من ديارهم بغير حق: {الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله} . . وهي أصدق كلمة أن تقال، وأحق كلمة بأن تقال. ومن أجل هذه الكلمة وحدها كان إخراجهم. فهو البغي المطلق الذي لا يستند إلى شبهة من ناحية المعتدين. وهو التجرد من كل هدف شخصي من ناحية المعتدى عليهم، إنما هي العقيدة وحدها من أجلها يخرجون، لا الصراع على عرض من أعراض هذه الأرض، التي تشتجر فيها الأطماع؛ وتتعارض فيها المصالح؛ وتختلف فيها الاتجاهات، وتتضارب فيها المنافع! ووراء هذا كله تلك القاعدة العامة.. حاجة العقيدة إلى الدفع عنها: {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً }.

والصوامع أماكن العبادة المنعزلة للرهبان، والبيع للنصارى عامة وهي أوسع من الصوامع، والصلوات أماكن العبادة لليهود، والمساجد أماكن العبادة للمسلمين . وهي كلها معرضة للهدم على

([١٨])جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٦٤٧/١٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قداستها وتخصيصها لعبادة الله لا يشفع لها في نظر الباطل أن اسم الله يذكر فيها، ولا يحميها إلا دفع الله الناس بعضهم ببعض. أي دفع حماة العقيدة لأعدائها الذين ينتهكون حرمتها، ويعتدون على أهلها. فالباطل متبجح لا يكف ولا يقف عن العدوان إلا أن يدفع بمثل القوة التي يصول بها ويجول"([١٩]). ا.هـ.

وعن كون الجهاد ليس مشروعا لحفظ حرية الاعتقاد وحفظ دور العبادة للمسلمين فقط، بل لحفظ حريات الآخرين وحماية دور عبادة غير المسلمين أيضا، يقول د. مصطفى السباعي: "وما دام المؤمنون كانوا لا يملكون حرية الاعتقاد، فالقتال الذي شرع إنما هو لتأمين هذه الحرية التي هي أغلى ما يعتز به الإنسان من قيم هذه الحياة، ثم بين الله أن هذا القتال الذي شرعه للمؤمنين ليست فائدته في تأمين الحرية الدينية لهم وحدهم، بل يستفيد منها أتباع الديانات السماوية الأخرى، وهي اليهودية والنصرانية، فإن المسلمين يومئذ كانوا يقاتلون وثنيين لا دين لهم، فإذا قويت شوكتهم استطاعوا أن يحموا أماكن العبادة لليهود والنصارى مع حمايتهم للمساجد، كيلا يستولي الوثنيون والملحدون فيحاربوا الديانات الإلهية، ويغلقوا أماكن العبادة لها، وذلك واضح في قوله في تلك الآية: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا}. والصوامع: هي أماكن الخلوة للرهبان، وتسمى الأديرة. والبيع: هي كنائس النصارى، والصلوات: هي كنائس اليهود. وبذلك يتبين بوضوح أن القتال في الإسلام ليس لمحو الديانات السماوية، وهدم معابدها، بل لحماية هذه الديانات السماوية من استعلاء الملحدين والوثنيين عليها، وتمكنهم من تدميرها وإغلاقها"([٢٠]).

ومن المهم هنا أن نشير إلى أنه من المعلوم أن آيات سورة الحج هذه هي أول آيات في القرآن الكريم نزولا تتحدث عن القتال، وهذا يدل على أن الرؤية واضحة في الإسلام لأهداف الجهاد وغاياته من أول آية نزلت للإذن به وتشريع أحكامه.

٤. تحقيق التمايز في صفوف الأمة:

وهذه من الآثار المتعدية للجهاد القتالي في سبيل الله أنه يميز صفوف المسلمين، ويمحص المؤمنين؛ فيظهر الصادق من الكاذب، ويتميز المؤمن عن المنافق، ويميز الله الخبيث من الطيب، وقد تحدث القرآن عن هذا المقصد حديثا شافيا، حسبنا أن نورد بعض الآيات في هذا الشأن:

([١٩])في ظلال القرآن: .

([٢٠])السيرة النبوية دروس وعبر: ١١٥-١١٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال تعالى: "وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ . أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ. سورة آل عمران: ١٤٠-١٤٢.

وقال: "مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ...". سورة آل عمران: ١٧٩.

وقال عز شأنه: "أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ". سورة التوبة: ١٦.

قال السعدي عن معنى الوليجة: "أي: وليا من الكافرين، بل يتخذون الله ورسوله والمؤمنين أولياء؛ فشرع الله الجهاد ليحصل به هذا المقصود الأعظم، وهو أن يتميز الصادقون الذين لا يتحيزون إلا لدين الله، من الكاذبين الذين يزعمون الإيمان وهم يتخذون الولائج والأولياء من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين"([٢١]).

وقال تعالى: "الم. أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ". العنكبوت:١-٣.

وقال تعالى: "ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ". سورة محمد: ٥. وقال: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ". محمد: ٣١.

وفي سورة الأحزاب صورة واضحة لهذا التمايز والتمحيص؛ حيث يقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا . إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا". سورة الأحزاب: ٩-١٢.

يقول السعدي: "وعندما اشتد الكرب، وتفاقمت الشدائد، صار إيمانهم عين اليقين، { وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا } وهنالك تبين نفاق المنافقين، وظهر ما كانوا يضمرون قال تعالى: { وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُورًا } . وهذه عادة المنافق عند الشدة والمحنة، لا يثبت إيمانه، وينظر بعقله القاصر، إلى الحالة القاصرة ويصدق ظنه.{ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ } من المنافقين، بعد ما جزعوا وقلَّ صبرهم، وصاروا أيضًا من المخذولين، فلا صبروا بأنفسهم، ولا تركوا الناس من شرهم، فقالت

([٢١])تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٣٣١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذه الطائفة: { يَا أَهْلَ يَثْرِبَ } يريدون " يا أهل المدينة " فنادوهم باسم الوطن المنبئ [عن التسمية] فيه إشارة إلى أن الدين والأخوة الإيمانية، ليس له في قلوبهم قدر، وأن الذي حملهم على ذلك، مجرد الخور الطبيعي"([٢٢]).

ويقول تعالى مبينا حال الذين في قلوبهم مرض عند ذكر القتال ـ ذكر القتال فقط ـ: "وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ". سورة مُحَمَّد: ٢٠.

وهكذا ترسم آيات القرآن الكريم صورة واضحة لهذا المقصد العام الكبير من مقاصد القتال في سبيل الله، وهو مقصد رأيناه متحققا في كل ما رأينا من معارك قديمة وحديثة بين المسلمين وغيرهم، وما المعركة التي دارت بين الصهاينة وغزة في فلسطين محرم ١٤٣٠هـ عنا ببعيد.

٥. حفظ هيبة الدولة الإسلامية:

ومن مقاصد الجهاد أنه يحفظ هيبة الدولة الإسلامية، وذلك عن طريق معاقبة ناقضي العهود والمواثيق، أو من يعاهد ثم يضمر نقض هذا العهد وخيانة هذا الميثاق، ويبدأ في اتخاذ وسائل عملية للإغارة على دولة الإسلام، قال تعالى :"وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ". الأنفال: ٥٨.

قال ابن عاشور: "حكم عام لمعاملة جميع الأقوام الخائنين بعد الحكم الخاص بقوم معينين الذين تلوح منهم بوارق الغدر والخيانة، بحيث يبدو من أعمالهم ما فيه مخيلة بعدم وفائهم، فأمره الله أن يرد إليهم عهدهم، إذ لا فائدة فيه وإذ هم ينتفعون من مسالمة المؤمنين لهم، ولا ينتفع المؤمنون من مسالمتهم عند الحاجة.

والخوف توقع ضر من شيء، وهو الخوف الحق المحمود. وإما تخيل الضر بدون أمارة فليس من الخوف وإنما هو الهوس والتوهم. وخوف الخيانة ظهور بوارقها. وبلوغ إضمارهم إياها، بما يتصل بالمسلمين من أخبار أولئك وما يأتي به تجسس أحوالهم"([٢٣]).

([٢٢])تفسير السعدي: ٦٥٩-٦٦٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال تعالى: "وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ. أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ. التوبة:١٢-١٣.

وتدل الآية على أنه إذا وقعت الخيانة فعلاً وأقدم العدو على خرق الاتفاقية والغدر والخيانة بعد العهد والميثاق فالمسلمون ليسوا في حل منها فحسب، بل هم مأمورون بشن الغارة على الخائنين الغدرة وإنزال العقاب بهم لقوله تعالى: "فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ".

وقد طبق النبي ـ ﷺ ـ هذه الأوامر الربانية في تعامله مع الأعداء في حروبه ومغازيه، ومن أمثلة ذلك: فتح مكة المكرمة، وكان غزْوُهُ لها لأجل قيام قريش بنقض العهد والميثاق الذي وقعوا عليه في الحديبية عام ٦ هـ، فجهّز جيشا ولم يعلن بذلك بل فاجأ العدو بالهجوم على مكة المكرمة وهذا ما تبعه النبي الكريم ـ ﷺ ـ مع العدو الناكث للعهد، والناقض للميثاق؛ أنه لا بد من الكتمان والسرية لجميع الاستعدادات لشن الغارة على العدو الغادر الخائن.

ونقض يهود بني قينقاع الميثاق بعد انتصار المسلمين في غزوة بدر، وهددوا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمين؛ قالوا: "يا مُحَمَّد لا يغرنّك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلقَ مثلنا". وتمادوا في الشر فكشفوا عورة مسلمة عفيفة، فصاحت واستغاثت؛ فكانت فتنة قُتل فيها اليهودي ومسلم، وهذا نقض للعهد صريح منهم، فأخبرهم الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ بانتهاء الميثاق وانتقاض العهد ثم حاصرهم وأجلاهم من المدينة مع نسائهم وذراريهم، وعادت للرسول ـ ﷺ ـ أموالهم فيئاً ولحقوا بالشام ونزلوا بـ"أذرعات"،وموقعها الآن في الأردن([٢٤]).

ولا يخفى أن مثل هذه القوة في الرد، ومعاقبة من يشرع في نكث العهد والاعتداء، تمثل إبراز هيبة الدولة المسلمة في قلوب أعدائها، فلو علم من سينقض عهدا أو يخون عقدا بأن مفاجأة المسلمين له ستلاحقه لفكر ألف مرة قبل الإقدام على نقضه للعقود ونكثه للعهود.

([٢٣])التحرير والتنوير: ١٤١/٩. مؤسسة التاريخ العربي. بيروت – لبنان. الطبعة الأولى. ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

([٢٤])انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٤٠/٣-٤٢، الطبعة الأولى لدار الخير عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، وراجع ما فعله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع بني النضير وبني قريظة في: السيرة النبوية لابن هشام ١٥١/٣ وما بعدها، و عيون الأثر في فنون المغازى والشمائل والسير: ١٠٣/٢ وما بعدها، تأليف الحافظ أبي الفتح مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن سيد الناس المتوفى ٧٣٤هـ، تحقيق د. مُحَمَّد عيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، وراجع بحثا بعنوان: مفهوم الجهاد في سبيل الله و مقاصده. بقلم: د. عصمت الله عنايت الله ، أستاذ في الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، والبحث منشور في موقع ملتقى أهل الحديث.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما لا يخفى أيضا أن في هذا تحقيقا للأمن وإرساء للأمان؛ لما في ذلك من قوة رادعة كما في قوله تعالى: " وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ". الأنفال: ٦٠. وأن في مراعاة حركة القتال في الإسلام لتلك العهود والعقود والمواثيق إرساء للأمن والأمان، وحفظا للسلام في المجتمع والعالم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خاتمة

يتبين بجلاء مما سبق أن القتال في الإسلام ليس لأغراض شخصية، ولا تشوفا للدماء والدمار والأشلاء، ولا إرهابا للأمم والشعوب والدول، ولا للقتال من أجل مجرد القتال، ولكن لأغراض نبيلة، وأهداف سامية، ومقاصد عظيمة، يتحقق بها الأمن والسلم، ويتمايز بها الصف المؤمن، ويرتدع بها أعداء الأمة، وتعيش الأمة قوية البنيان مرهوبة الجانب، بالإضافة إلى تحرير الناس .كل الناس . من تحكم المتحكمين وتسلط المتسلطين.

كما تبين أن فلسفة القتال في الإسلام ترفعه لآفاق من الإنسانية والنبل إلى درجة تتقازم عندها كل فلسفات القتال في القوانين البشرية والأحكام الوضعية، كما أن المسلمين مارسوه في تاريخهم بشكل يتقارب مع هذه الفلسفة بشكل يتسامى عما مارسته الأمم الأخرى ويمارسه الغرب اليوم في الشرق الإسلامي.

وبهذا يتبين لنا براءة الإسلام من حوادث التفجيرات التي تجري هنا وهناك، وأن الدماء التي تسيل جراءها، والأرواح التي تزهق فيها لهي من أنكر المنكرات، ومن أشد المحرمات التي شدد فيها الشرع، وأغلظ النكير على فاعليها، ورتب عقوبات قوية على مرتكبيها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفهرس

مقدمة

أولا: المقاصد والآثار اللازمة أو الفردية:

١. الفوز بمرتبة الشهادة ونيل الدرجات في الجنة:

٢. إصلاح النفس:

٣. ابتلاء المؤمن وتمحيصه:

٤. السعي لمرضاة الله:

ثانيا: المقاصد والآثار المتعدية أو الجماعية:

١. صد العدوان:

٢. تحرير الناس وإقامة العدل والمساواة:

٣. منع الفتنة وحفظ حرية الاعتقاد:

٤. تحقيق التمايز في صفوف الأمة:

٥. حفظ هيبة الدولة الإسلامية:

الخاتمة.

السيرة الذاتية للمؤلف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السيرة الذاتية للمؤلف

وصفي عاشور علي أبو زيد

مواليد محافظة كفر الشيخ بجمهورية مصر العربية، ١٣٩٥/٦/١١هـ الموافق: ١٩٧٥/٦/٢٠م.

عنوان المراسلة: wasfy75@gmail.com

المؤهلات والأنشطة:

* يحفظ القرآن الكريم برواية مسندة إلى حفص عن عاصم.

* حصل على درجة الدكتوراه بعنوان: "المقاصد الجزئية وأثرها في الاستدلال الفقهي، دراسة تأصيلية تطبيقية" في يوليو ٢٠١١م بمرتبة الشرف الأولى من كلية دار العلوم جامعة القاهرة، وحصل على ماجستير في الفقه والأصول من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، بتقدير ممتاز، في مارس ٢٠٠٥م، بعنوان: "نظرية الجبر في الفقه الإسلامي، دراسة تأصيلية تطبيقية".

*حصل على "تمهيدي ماجستير" من قسم الشريعة الإسلامية بنفس الكلية والجامعة ١٩٩٨م، كما حصل على ليسانس اللغة العربية والعلوم الإسلامية من نفس الكلية والجامعة ١٩٩٧م.

* حصل على إجازات مسندة في بعض كتب السنة ومصطلح الحديث، مثل: صحيح مسلم، مسند الدارمي، الأربعون النووية، ما لا يسع المحدث جهله، ألفية الحديث للعراقي، المنظومة البيقونية، شرحها للزرقاني، ألفية الحديث للسيوطي، قصيدة غرامي صحيح، شرحها لابن عبد الهادي، كتاب الأربعين في فضائل الصحابة، كتاب الأربعين في فضائل آل البيت، وحصل على إجازة في العلوم الشرعية من فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي.

* كرمته وزارة الأوقاف الكويتية عام ٢٠٠٤م باعتباره أحد الكتاب المتميزين في مجلة الوعي الإسلامي، كما كرمته من خلال المركز العالمي للوسطية أعوام ٢٠٠٨م، ٢٠٠٩، ٢٠١٠، ٢٠١١م، لإلقائه بعض المحاضرات والدورات لوفود الدعاة من البلاد الآسيوية، والإفريقية، والأوربية، وبرنامج علماء المستقبل لجهوده في البرنامج.

* شارك بورقات بحثية في عدد من المؤتمرات الدولية في مصر وقطر والمغرب والجزائر وتونس والكويت وعمان وتركيا وبريطانيا.

*عضو عدد من المؤسسات والروابط والاتحادات العلمية العالمية.

*عضو هيئة تحرير في عدد من المجلات العلمية المحكّمة.

* عمل في عدد من المراكز البحثية الفكرية.

* شارك في إعداد معلمة القواعد الفقهية التابعة لمجمع الفقه الإسلامي – جدة، و"مدونة الأسرة" للملكة العربية السعودية (مشروع تقنين كل ما يخص الأسرة في ضوء الفقه الحنبلي والقوانين العربية الوضعية)، و"موسوعة الفقه الإباضي" التي تشرف عليها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في سلطنة عمان.

* نشرت له الصحف والمجلات، والمجلات المحكمة، ومواقع الإنترنت مئات المقالات والحوارات والأبحاث في الفقه والأصول، والفكر والدعوة، والتربية، وشئون الأسرة، وغيرها.

* له عشرات الاستشارات الفقهية والدعوية والإيمانية على موقع إسلام أونلاين، وموقع الإسلام اليوم.

* ألقى عشرات المحاضرات والدورات العلمية في مصر والكويت وتركيا وإيطاليا وألمانيا حول مقاصد الشريعة والفكر المقاصدي وتفعيله في العمل الفقهي والدعوي والسياسي والمؤسسي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* كان ضيفا في قنوات فضائية متعددة، منها: قناة الجزيرة مباشر مصر، وقناة الصحة والجمال، وقناة الأقصى، وقناة فلسطين اليوم، وقناة رابعة، وقناة مكملين، وقناة الشرق، وقناة مصر الآن، وقناة (TRT) العربية، والفضائية المغربية، وقناة فور شباب، بالإضافة إلى إذاعة القرآن الكريم بالقاهرة، وإذاعة البرنامج الثقافي في برنامج: "تأملات في الأسماء".

* كتب مقدمات لأكثر من عشرة كتب لبعض العلماء والباحثين.

المؤلفات:

١. نظرية الجبر في الفقه الإسلامي، دراسة تأصيلية تطبيقية (رسالة ماجستير).
٢. في ظلال سيد قطب، لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيري.
٣. الحرية الدينية ومقاصدها في الإسلام.
٤. مشاركة المرأة في العمل العام (التعريفات. الضوابط. المقاصد. الشبهات. التحديات. نماذج للمشاركات. المجالات. الأدوار المعينة).
٥. المحاولات التجديدية المعاصرة في أصول الفقه، دراسة تحليلية.
٦. رعاية المقاصد في منهج القرضاوي.
٧. كلمات في صناعة الداعية الفقيه.
٨. منهج الشيخ محمد الغزالي في تناول مسائل العقيدة.
٩. أهمية القرآن في حياة المسلم.
١٠. أسس التعامل مع القرآن الكريم.
١١. محفوظ نحناح. رمز الإسلام المعتدل في الجزائر.
١٢. الجهاد في سبيل الله... مقاصد وآثار.
١٣. معالم الوسطية في الوقاية من العنف والتطرف.
١٤. القرضاوي الإمام الثائر، دراسة تحليلية أصولية في معالم اجتهاده للثورة المصرية.
١٥. مقاصد الأحكام الفقهية، تاريخها ووظائفها التربوية والدعوية.
١٦. الوحدة الوطنية في الإسلام: مفهومها. ضوابطها. مقاصدها.
١٧. بيان غير المسلمين لدينهم في مجتمعات المسلمين بين الجواز والمنع.
١٨. حفظ الأسرة في الإسلام، قراءة في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها.
١٩. المقاصد الجزئية: ضوابطها. حجيتها. وظائفها. أثرها في الاستدلال الفقهي (رسالة دكتوراه).
٢٠. الآراء الأصولية للدكتور محمد عمارة. قراءة تحليلية نقدية.
٢١. أحكام الشريعة بين التعبد والتعليل، قراءة أصولية في تحقيق أقوال العلماء.
٢٢. حق الأمة في الرقابة على الولاة. الأسس والمقاصد.
٢٣. التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم، في ظلال القرآن نموذجا.
٢٤. التكوين العلمي للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور، روافده وأثره في تكوين العقلية العلمية المجدِّدة.
٢٥. القوة في السياسة الشرعية. عناصرها. ضوابطها. مقاصدها.
٢٦. مقدمات أصولية في ضبط العمل الثوري وترشيده.
٢٧. نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم، رؤية تأسيسية.
٢٨. الإمام يوسف القرضاوي وملحمة الإنتربول الدولي.

* * *